Review of Contemporary Philosophy
eISSN: 2471-089X ISSN: 1841-5261,
Vol 25 (1), 2026
pp. 150 - 160

Sheikh Ahmad Tijani al-Tamassini and the endorsement of Mufdi Zakaria in West Africa (1966-1967): A study in archival documents

***Dr*. Ahmed Ghrissi**

Mouloud Mammeri University of Tizi Ouzou-Algeria

Laboratory for Islamic Thought Studies in Algeria

Email: ahmed.ghrissi@ummto.dz

ORCID ID: https://orcid.org/0009-0004-2681-1124

***Received*: 01.02.2025** ***Accepted*: 10.10.2025** ***Published*: 10.03.2026**

ملخص:

تتناول هذه الدراسة رحلة الشاعر الجزائري مفدي زكريا إلى غرب إفريقيا خلال سنتي 1966–1967، من خلال تحليل مجموعة من الوثائق الأرشيفية، ولا سيما المراسلات المتبادلة بينه وبين الشيخ أحمد التجاني التماسيني. وتهدف إلى إبراز الدور الذي لعبته التزكية الصوفية في تسهيل اندماج مفدي زكريا داخل شبكات الطريقة التجانية، بما أتاح له النفاذ إلى كبار علمائها ومسؤوليها المحليين، والمساهمة في تنشيط علاقات ثقافية وتجارية عابرة للمجال المغاربي – الإفريقي. وتكمن أهمية الدراسة في تسليط الضوء على بعد حضاري ظل مهمشا في الكتابات التاريخية، يتمثل في تداخل الأبعاد الروحية والثقافية والتجارية في فضاء غرب إفريقيا بعد الاستقلال. كما تطرح الدراسة الإشكالية التالية: **إلى أي مدى أسهمت تزكية الشيخ أحمد التجاني في إنجاح رحلة مفدي زكريا وتعزيز شبكة العلاقات المغاربية – الإفريقية، وما الذي تكشفه هذه التجربة عن آليات التواصل والتفاعل بين الروحانية والثقافة والاقتصاد في غرب إفريقيا خلال مرحلة ما بعد الاستقلال؟**

الكلمات المفتاحية: مفدي زكريا، الشيخ أحمد التجاني التماسيني، غرب إفريقيا، التزكية الصوفية، العلاقات الثقافية والتجارية

مقدمة :

شكّلت الجزائر، قديما وحديثا، نموذجا بارزا في مدّ جسور التواصل مع محيطها الإقليمي والدولي، مستفيدة من موقعها الاستراتيجي في حوض البحر الأبيض المتوسط، الذي جعلها نقطة التقاء بين العالمين الأوروبي والإفريقي، ومجالا حيويا للتفاعل السياسي والاقتصادي والثقافي. كما أسهمت مكانتها الحضارية وتنوّعها الفكري في ترسيخ علاقاتها مع دول الجوار الإفريقي، خاصة من خلال الأدوار التي اضطلع بها علماؤها وأعلامها.

تندرج رحلة الشاعر الجزائري مفدي زكريا إلى غرب إفريقيا خلال سنتي 1966–1967 ضمن سياق تاريخي وثقافي مميّز، تميز بتنامي العلاقات المغاربية – الإفريقية في مرحلة ما بعد الاستقلال، وبسعي النخب الثقافية إلى ترسيخ حضورها في الفضاء الإفريقي على أسس حضارية وروحية مشتركة. وقد مثّلت هذه الرحلة فعلا ثقافيا مركّبا، تداخلت فيه الأبعاد الفكرية والروحية والتجارية، كما تكشف عنه الوثائق الأرشيفية المعاصرة لها.

ويبرز في هذا السياق دور الشيخ أحمد التجاني التماسيني، شيخ الطريقة التجانية بزاوية تماسين، بوصفه الفاعل المحوري الذي وفّر لمفدي زكريا الإطار الروحي والاجتماعي اللازم لإنجاح رحلته. فقد شكّلت تزكية الشيخ ورسائل توصيته عنصرا حاسما في تمكين الشاعر من الولوج إلى شبكات الطريقة التجانية في غرب إفريقيا، وربط صلته بكبار علمائها ومشايخها، إلى جانب عدد من المسؤولين المحليين، خاصة في كلّ من السنغال والنيجر وساحل العاج. وأسهم هذا الدعم في تيسير تنقّلات مفدي زكريا، وتنظيم لقاءاته، وتعزيز حضوره الثقافي في هذه الأقاليم.

وتهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على رحلة مفدي زكريا إلى غرب إفريقيا من خلال تتبّع مساراتها، وتحليل طبيعة علاقاته التي نسجها خلال هذه المرحلة، وإبراز أثر التزكية الصوفية في إنجاح مشروعه الثقافي. كما تسعى إلى الكشف عن الدور الذي أدّاه الشيخ أحمد التجاني التماسيني في دعم هذه الرحلة، بما مكّن مفدي زكريا من تحقيق مكاسب علمية وثقافية وتجارية، وأسهم في توسيع دائرة التأثير الثقافي الجزائري داخل الفضاء الإفريقي.

واعتمدت الدراسة على مجموعة من الوثائق الأرشيفية المحفوظة بأرشيف الزاوية التجانية بتماسين، من بينها مراسلات متبادلة بين مفدي زكريا والشيخ أحمد التجاني، ورسائل أخرى صادرة عن مشايخ الطريقة التجانية في غرب إفريقيا، توثّق خط سير الرحلة، وطبيعة الاستقبال الذي حظي به الشاعر، وأشكال الدعم التي تلقّاها بفضل رسائل التوصية، بما يسمح بإعادة قراءة هذه الرحلة قراءة تاريخية موثّقة.

وتكمن أهمية هذه الدراسة في إبراز رحلة مفدي زكريا كنموذج دالّ على التفاعل بين الثقافة والروحانية في بناء العلاقات العابرة للحدود، وفي إعادة الاعتبار لأدوار شيوخ التصوف، ولا سيما الشيخ أحمد التجاني التماسيني، في ترسيخ التواصل الحضاري بين المغرب العربي وغرب إفريقيا، بما يفتح آفاقا جديدة لفهم آليات الامتداد الثقافي الجزائري في إفريقيا خلال مرحلة ما بعد الاستقلال.

أولا: الشخصيات التاريخية والمجال المكاني:

01- الشيخ أحمد التجاني:

هو الشيخ أحمد التجاني بن الشيخ محمد بن الشيخ محمد العيد بن الإمام الحاج علي التماسيني، وُلد سنة 1316هـ/1898م ببلدة الرقيبة في وادي سوف. نشأ في كنف أسرة علمية محافظة، عُرفت بالعلم والصلاح، حيث حفظ القرآن الكريم وهو لم يتجاوز الثانية عشرة من عمره بالمدرسة القرآنية التابعة للزاوية[1].

واصل الشيخ أحمد التجاني تحصيله العلمي على يد نخبة من علماء عصره، وفي مقدّمتهم والده الشيخ محمد التماسيني (1844–1912م)، وأخوه الشيخ البشير التماسيني (1861–1918م)، كما تلقّى العلم عن الشيخ مبارك بن المازق (ت 1936م)، والشيخ العلامة محمد بن البرية، والشيخ محمد بن جديدي، إضافة إلى العلامة محمد اللقاني بن السائح (1886–1970م). أمّا في مجال التربية الروحية والسلوك الصوفي، فقد تلقّى تعاليمه الأولى على يد والده، الذي كان له الأثر البالغ في توجيهه الروحي والفكري.

وإلى جانب العلوم الشرعية واللغوية، تعلّم الشيخ أحمد التجاني اللغة الفرنسية على يد الأستاذ عبد القادر بن البشير بن الهادي السوفي، الأمر الذي مكّنه من التفاعل مع واقعه، وأسهم في توسيع آفاقه المعرفية والفكرية[2].

تميّز الشيخ أحمد التجاني التماسيني بكونه فقيهًا أديبًا جمع بين رسوخ المعرفة الشرعية وسعة الثقافة، وهو ما أهّله لنيل إجازات علمية رفيعة في الفقه والحديث والسيرة النبوية من كبار أعلام عصره؛ فقد أجازه شيخ جامع الزيتونة العلامة محمد الطاهر بن عاشور (1879–1973م)، كما أجازه مفتي القيروان الشيخ محمد بن العلاني (1840–1933م)، وذلك بتاريخ 07 نوفمبر 1932م، إضافة إلى إجازة المحدث عبد الحي الكتاني (1884–1962م)، وهو ما يعكس مكانته العلمية واتصاله بالمراكز العلمية الكبرى في المغرب العربي والمشرق الإسلامي [3].

وفي سنة 1927م، تولّى الشيخ أحمد التجاني خلافة الطريقة التجانية، فاضطلع بمسؤولية علمية وروحية، وواصل من خلالها تنشيط الحركة العلمية والفكرية بالزاوية التجانية بتماسين، جاعلًا منها منارة إشعاع علمي وروحي في الجنوب الشرقي الجزائري. وقد عمل على استقطاب عدد معتبر من العلماء والمدرّسين من مختلف المناطق، وأسهم في إحياء الدروس العلمية وحلقات الذكر والتعليم، بما عزّز الدور التربوي والثقافي للزاوية في محيطها المحلي والإقليمي [4].

وفي إطار مشروعه الإصلاحي والتعليمي، أسّس الشيخ أحمد التجاني عددًا من المؤسسات التعليمية، من بينها المدرسة العرفانية ومدرسة النهضة داخل الزاوية، سعيًا إلى الجمع بين التربية الروحية والتحصيل العلمي، كما أنشأ المدرسة الأهلية بتملاحت سنة 1947م، إيمانًا منه بأهمية التعليم الحر في الحفاظ على الهوية الدينية والثقافية للمجتمع في ظل الظروف الاستعمارية[5]. وكان من مؤسسي جمعية ومدرسة الفلاح بمدينة تقرت سنة 1946م، في خطوة تعبّر عن وعيه بدور التعليم في الإصلاح الاجتماعي وبناء الإنسان، وترسيخ الوعي الديني والوطني[6].

يُعدّ الشيخ أحمد التجاني التماسيني أحد الزعماء الوطنيين البارزين وأعيان الجنوب الجزائري، حيث تجاوز دوره الإطار الديني والروحي ليشمل الشأنين الاجتماعي والوطني. وقد فُرض عليه الترشّح لانتخابات المجلس الجزائري سنة 1948م في سياق سياسي معقّد، غير أنّه بحضوره في الحياة العامة اضطلع بدور فعّال في الدفاع عن قضايا سكان منطقتي وادي سوف ووادي ريغ، وحمل على عاتقه همومهم ومشاكلهم، ساعيًا إلى إيجاد حلول عملية لها في حدود ما أتاحته الظروف آنذاك[7].

وفي إطار جهوده التنموية، عمل الشيخ سنة 1953م على المطالبة بتعبيد وإصلاح الطريق الرابط بين بسكرة وقمار، لما له من أهمية اقتصادية واجتماعية في تسهيل تنقّل السكان وربط مناطق الجنوب بالشمال، كما سعى إلى إنجاز طريق تقرت–الوادي من خلال مجلس العمالة، إدراكًا منه لأثر البنية التحتية في تنشيط الحركة التجارية وتحسين الظروف المعيشية للسكان. وفي الجانب الفلاحي، أنشأ عينًا للسقي بمنطقة المغير خُصّصت في البداية لنخيله، ثم سرعان ما تعدّت فائدتها لتشمل عموم سكان المنطقة، حتى عُرفت القرية لاحقًا باسم "عين الشيخ" نسبة إليه، تخليدًا لدوره في خدمة المجتمع المحلي[8].

إلى جانب ذلك، عُرف الشيخ أحمد التجاني بحكمته وقدرته على الإصلاح الاجتماعي، إذ اضطلع بدور محوري في إصلاح ذات البين وإطفاء الفتن، ومن أبرز ذلك تدخّله سنة 1927م ببلدة تماسين لاحتواء النزاع الذي وقع بين الأهالي والقايد على خلفية مسألة التلقيح، حيث أسهم بحنكته ومكانته الاجتماعية في تهدئة الأوضاع والحفاظ على السلم الاجتماعي، بما يعكس حضوره كمرجعية دينية واجتماعية جامعة[9].

عُرف الشيخ أحمد التجاني التماسيني بدفاعه المستمر عن المظلومين ووقوفه إلى جانب الفئات المتضرّرة من السياسات الاستعمارية، إذ لم يتوانَ عن استثمار مكانته الدينية والاجتماعية للتخفيف من معاناة السكان. وفي هذا الإطار، تدخّل لدى السلطات الفرنسية من أجل وقف الضرائب الباهظة المفروضة على سكان مدينة ورقلة، والتي أثقلت كاهلهم وأثّرت سلبا على أوضاعهم المعيشية.

وقد جاء هذا التدخّل استجابةً لرسالة وجّهها إليه أهالي ورقلة بتاريخ 26 ديسمبر 1952م، يلتمسون فيها تدخّله لرفع هذا الظلم عنهم، وهو ما يعكس ثقة السكان في الشيخ واعتبارهم إيّاه ملاذا ووسيطا للدفاع عن حقوقهم[10].

ويُبرز هذا الموقف جانبا مهما من شخصية الشيخ، يتمثّل في حسّه الاجتماعي العالي ووعيه بالمسؤولية الوطنية، حيث ركّز على نصرة المظلومين والسعي إلى تحقيق قدر من العدالة الاجتماعية في ظل ظروف استعمارية قاسية.

02- الشاعر مفدي زكريا:

هو شاعر الثورة الجزائرية مفدي زكريا، واسمه محمد مفدي بن سليمان بن يحي بن الشيخ صالح، وُلد سنة 1908م بمدينة بني يزقن بوادي ميزاب (غرداية). نشأ في بيئة علمية محافظة، حيث حفظ القرآن الكريم في مسقط رأسه، وتشرّب منذ صغره القيم الدينية والوطنية التي انعكست لاحقًا في إنتاجه الأدبي والنضالي[11].

التحق مفدي زكريا ضمن البعثة العلمية الجزائرية إلى تونس، فتابع دراسته بمدرسة السلام، ثم بالمدرسة الخلدونية، قبل أن ينهل من علوم جامع الزيتونة، الذي شكّل أحد أبرز مراكز التكوين العلمي والفكري في العالم الإسلامي آنذاك. وخلال هذه المرحلة، بدأت ملامح موهبته الشعرية تتبلور، وشرع في نظم الشعر متأثرًا بروح الإصلاح والنهضة الفكرية السائدة في تونس.

عاد إلى الجزائر سنة 1926م، فانخرط في النشاط الأدبي والسياسي والثوري، وجعل من قلمه وسيلة للدفاع عن قضايا الوطن ومقاومة الاستعمار. وقد تعرّض بسبب مواقفه الوطنية إلى السجن خمس مرات، الأمر الذي لم يزده إلا إصرارًا على مواصلة النضال، إلى أن تمكّن من الفرار في آخر مرة، ليلتحق بجبهة التحرير الوطني خارج الوطن، مواصلًا دعمه للثورة الجزائرية بالكلمة والموقف[12].

ويُعدّ مفدي زكريا صاحب النشيد الرسمي للثورة الجزائرية، الذي أصبح لاحقًا النشيد الوطني للدولة الجزائرية المستقلة، وهو ما يكرّس مكانته الرمزية في الذاكرة الوطنية الجزائرية. وقد وافته المنية بتونس سنة 1977م، بعد حياة حافلة بالعطاء الأدبي والنضالي[13].

ومن أبرز مؤلفاته الشعرية والفكرية: إلياذة الجزائر، واللهب المقدّس، وأمجادنا تتكلم، وتحت ظلال الزيتون، ومن وحي الأطلس، وأهازيج الزحف المقدّس، إضافة إلى كتابه الأدب العربي في الجزائر، الذي يُعدّ مرجعًا مهمًا في توثيق الحركة الأدبية الجزائرية[14].

وكانت للشاعر مفدي زكريا علاقة وثيقة ومتميزة مع الشيخ أحمد التجاني التماسيني، تجسّدت في تبادل المعرفة والدعم الروحي والثقافي. وقد عبّر الشاعر عن تقديره واحترامه لمقام الشيخ ومكانته العلمية والروحية من خلال مدحه أثناء زيارة الشيخ لمدينة القرارة (غرداية)، حيث نظم قصيدة عبّرت عن إعجابه بمناقب الشيخ وفضائله، مؤكّدًا بذلك العلاقة الروحية والأدبية التي جمعت بينهما، والتي شكّلت جسرًا لتقوية الروابط الثقافية بين الجزائر ودول إفريقيا عبر شبكة الزوايا التجانية.

مرحبا بالوافدين الأكرمين	مرحبا أهلا بآساد العرين
قد حللتم بلد الله الأمين	صافحتكم بفؤاد ويمين
مثلما صافح نجم كوكبا	
زرتمونا مرحبا يا أحمد .	عدتم، والعود منكم أحمد
بسطت في الرفرف الأخضر يد	للقاكم، أرسلتها الأنجد
فعدت راقصة منه الربى	
مرحبا بالعلم يحلوه الحجا	مرحبا بالفضل صاف أبلجا
حق للشعر بكم أن يلهجا	قد بنيتم صـرح مجد درجا
واعتلى، فاستودعوه الكتبا	
فاسألوا الأيام عن مجدكم	واسألوا التاريخ عن ماضيكم
واسألوا هذا الثرى ينبئكم	وهلمـوا، فالسما عرشكم
واسألوا الشمس بها والشهبا	
فاستحثوا للأمام الهمما	وارفعوا نحو السماء العلما

زاحموا في أفقها الأنجما	إن نبا سيف، فهزوا القلما
وانشروا العلم به والأدبا	
لا تنوا ، لا تهنوا ، لا تحزنوا	ولصرح المجد عال فابتنوا
وانهضوا نحو العلا لا تنثنوا	عشتم، وليحي هذا الوطن[15]

03- الزاوية التجانية تماسين:

تعتبر الزاوية التجانية بتماسين من أهم وأكبر الزوايا التجانية في العالم، نظرًا لدورها المحوري والمستمر منذ تأسيسها سنة 1217هـ/1803م على يد الشيخ الحاج علي التماسيني، بإذن من مؤسس الطريقة التجانية الشيخ أحمد التجاني. ومنذ تأسيسها، شهدت الزاوية توسعات كبيرة ومتعددة بفضل جهود خلفاء الشيخ علي التماسيني، الذين حرصوا على تطوير بنيتها العلمية والدينية والاجتماعية.

بدأت هذه التوسعات مع نجله الشيخ محمد العيد الأول (1815–1875م)، الذي أسس المسجد الجامع المعروف اليوم بمسجد "سيدي الحاج علي التماسيني"، وواصل مسيرة تحفيظ القرآن الكريم للطلبة، مع الحفاظ على المنهج الصوفي والتربوي للزاوية. وعلى مدار تاريخها، ترك كل من خلفاء الزاوية بصماته في مجالات البناء والتشييد، واستقطاب العلماء والمدرّسين، والنهوض بالجوانب الاجتماعية والفكرية، إضافة إلى الحفاظ على الموروث الشعبي للزاوية وغرس القيم الروحية والأخلاقية في نفوس النشء. وهكذا أصبحت الزاوية بتماسين مركزًا علميًا وروحيًا وثقافيًا بارزًا، يلعب دورًا مهمًا في ربط المجتمعات المحلية والعلاقات الثقافية مع مختلف مناطق إفريقيا، بما يجعلها نموذجًا فريدًا للتأثير الروحي والاجتماعي على نطاق واسع[16].

ثانيا: تزكية الشيخ أحمد التجاني التماسيني وأثرها في الرحلة الإفريقية لمفدي زكريا

نص الرسالة الأولى: رسالة الشاعر مفدي زكريا (تونس) إلى الشيخ أحمد التجاني

" ... المحترم الفاضل الهمام صديقنا الشيخ أحمد التيجاني حفظه الله سلاما وتحية وأشواقا

سيدي إن كاتب هذه الرسالة إليك أخوك مفدي زكريا الذي يعتزّ بمحبتكم وصداقتكم القديمة ويتشرف بأنه كان خطّ بقلمه قصيدا في شجرة النسب التيجاني الشريف بإملاء أستاذه المرحوم الشيخ محمد مناشو[17] كما أنه نشر بيانا بجريدة النجاح في الترحيب بكم عند زيارتكم للقرارة اكتب اليكم اليوم لابلغكم تحياتي وذكرياتي ولاهدي لكم صحبة حامل هذه الرسالة نسخة في "تقويم المغرب العربي الكبير" الذي اصدرته أخيرا ثم اطلب من سماحتكم تزويدي بتوصية خاصة لشيخ التيجانية بالسنغال والنيجر وساحل العاج وذلك اني عزمت على القيام بجولة لأفريقيا السمراء في أوائل الشهر المقبل قصد التعريف بهذا التقويم الذي هو الأول من نوعه باللغات الثلاث: العربية والفرنسية والانقليزية. ثم اني أريد جمع المعلومات عن نشاط المسلمين بتلك البلاد، وفضل الطريقة التيجانية في المحافظة على الاسلام عبر العصور رغم الزعازع والاعاصير واريد جمع صور المساجد وتراجم المشائخ العاملين على نشر الاسلام، وارجو كذلك موافاتي بصورتكم الكريمة ونبذة عن تاريخ حياتكم الحافلة بالصالحات وتقبلوا سيدي الكريم مع كامل الشكر والتقدير اخلص العواطف وازكى السلام. مفدي زكريا".[18]

تُظهر رسالة وجّهها الشاعر الجزائري مفدي زكريا من تونس في شهر جوان 1966م إلى الشيخ أحمد التجاني، معالم العلاقة التي ربطت الشاعر بالشبكات الدينية التجانية في المغرب العربي، كما تكشف عن الأبعاد الثقافية والدعوية التي صاحبت مشروعه للانفتاح على فضاء إفريقيا جنوب الصحراء في ستينيات القرن العشرين.

ويستهل مفدي زكريا رسالته بتأكيد روابط الصداقة القديمة التي جمعته بالشيخ أحمد التجاني، مستحضرًا أشكالًا متعددة من التفاعل السابق، من بينها مشاركته الأدبية في تدوين قصيدة شعرية ضمن شجرة النسب التيجاني الشريف بإملاء الشيخ محمد مناشو، فضلًا عن نشره بيانًا ترحيبيًا بجريدة النجاح بمناسبة زيارة الشيخ أحمد التجاني لمدينة القرارة في ثلاثينيات القرن الماضي .ويعكس هذا الاستحضار سعي الكاتب إلى تثبيت موقعه داخل المجال الرمزي للطريقة التجانية، بوصفه مثقفًا منخرطًا في خدمتها الثقافية والإعلامية. وهو ما يظهر العلاقة المتجذرة بين الإباضية في وادي ميزاب والطريقة التجانية في زاوية تماسين. والانفتاح المذهبي والتفاهم بينهما، نظرا للتبادل المستمر للزيارات والمراسلات بين الطرفين، كما يبرز دور العلماء في توثيق روابط الأخوة والتواصل بين مختلف المذاهب.

وقد ذكر مفدي زكريا في رسالته أحد شيوخه البارزين في جامع الزيتونة، الشيخ محمد بن مناشو، أحد أعلام الطريقة التجانية في تونس، مما يدل على امتداد شبكة العلاقات العلمية والصوفية بين الجزائر وتونس.

وتشير الرسالة إلى أن مفدي زكريا أرفق مع حاملها نسخة من مؤلفه الموسوم بـ «تقويم المغرب العربي الكبير » وهو عمل يقدمه باعتباره مشروعًا ثقافيًا غير مسبوق، نظرًا لصدوره باللغات العربية والفرنسية والإنجليزية .ويُفهم من مضمون الرسالة أن هذا التقويم كان أداة للتعريف بالمجال المغاربي في بعده التاريخي والثقافي، ضمن سياق اتسم بتزايد الاهتمام بالخطاب الوحدوي العابر للحدود الوطنية.

وفي هذا الإطار، يطلب مفدي زكريا من الشيخ أحمد التجاني تزويده بتوصية خاصة موجّهة إلى شيوخ الطريقة التجانية في السنغال والنيجر وساحل العاج، وذلك باعتباره شيخ الطريقة التجانية ومرجعها الروحي، مبررًا ذلك بعزمه القيام بجولة في إفريقيا السوداء في أوائل الشهر

الموالي. ويدلّل اختيار مفدي زكريا للشيخ أحمد التجاني كموجه له عن النفوذ الكبير للطريقة التجانية في غرب إفريقيا (السودان الغربي)، ودورها الاستراتيجي في تعزيز سمعة الطريقة التجانية، والترويج لقيمها الروحية والاجتماعية على المستوى الإفريقي.

كما تفيد الرسالة بأن أهداف هذه الجولة تندرج تحت محورين رئيسيين: الأول، التعريف بكتابه تقويم المغرب العربي الكبير، الذي أهدى نسخة منه للشيخ، ويعتبره الشاعر الأول من نوعه باللغات الثلاث. والثاني، جمع معطيات حول نشاط المسلمين في تلك الدول، ودراسة دور الطريقة التيجانية في الحفاظ على الدين الإسلامي ونشره «رغم الزعازع والأعاصير»، حسب تعبير الرسالة. ويطلب مفدي زكريا، في هذا السياق، مواد توثيقية تشمل صور المساجد وتراجم المشايخ العاملين في مجال الدعوة، بهدف جمع هذه المعرفة وربما إعداد مشروع كتاب مستقبلي.

وتنتهي الرسالة بطلب ذي بعد رمزي يتمثل في الحصول على صورة شخصية للشيخ أحمد التجاني مرفقة بنبذة عن سيرته، بما يوحي برغبة في إدماج هذه المادة ضمن مشروع توثيقي أوسع، يسعى إلى إبراز الشخصيات الدينية المؤثرة في الفضاء المغاربي– الإفريقي. ويُستفاد من مجمل الرسالة أن مفدي زكريا كان ينظر إلى الطريقة التجانية باعتبارها فاعلًا محوريًا في التاريخ الديني لغرب إفريقيا، وشريكًا أساسيًا في أي مشروع ثقافي أو دعوي يتجاوز الحدود الوطنية.

وتبرز هذه الوثيقة، في مجموعها، تداخل الأبعاد الأدبية والدينية والتاريخية في مشروع مفدي زكريا الإفريقي، كما تكشف عن مركزية الطرق الصوفية، ولا سيما التجانية، في بناء جسور التواصل بين المغرب العربي وإفريقيا جنوب الصحراء خلال مرحلة ما بعد الاستعمار، سواء على مستوى الحركة الثقافية أو إنتاج المعرفة التاريخية حول الإسلام في تلك الأقاليم. وتظهر الدور المركزي للشيخ أحمد التجاني التماسيني في ترسيخ الامتداد الثقافي للطريقة التجانية في إفريقيا، حيث اتضح أن مكانته العلمية والروحية امتدت من الجزائر إلى دول غرب إفريقيا ذات الغالبية التجانية، مثل السنغال والنيجر وساحل العاج.

نص الرسالة الثانية: من الشيخ محمد الحبيب التجاني السنغالي إلى الشيخ أحمد التجاني التماسيني

" من عبد ربه محمد الحبيب التجاني إلى الفاضل حبيبنا ومحبّنا الشيخ أحمد ... هذا وان الأخ مفدي زكريا قد وصل إلى دكار وانني لاقيته ببعض الشخصيات منهم سعيد النور تال والمستشار لرئاسة الحكومة في الشؤون الاسلامية وغيرهم [19]..."

تفيد رسالة مؤرخة في 26 جويلية 1966، وجّهها الشيخ محمد الحبيب التجاني[20] من السنغال إلى الشيخ أحمد التجاني، بوصول الشاعر الجزائري مفدي زكريا إلى دكار، وبطبيعة الاستقبال والدعم الذي حظي به خلال فترة وجوده في العاصمة السنغالية. وتكتسي هذه الوثيقة قيمة خاصة لكونها صادرة عن فاعل محلي منخرط في الشبكات الدينية والاجتماعية، ما يجعلها شاهدًا مباشرًا على آليات الوساطة التي صاحبت حضور مفدي زكريا في غرب إفريقيا.

وتشير الرسالة إلى أن الشيخ محمد الحبيب التجاني اضطلع بدور أساسي في مرافقة مفدي زكريا، حيث عمل على تسهيل اندماجه في الأوساط العلمية والرسمية من خلال ترتيب لقاءات مع عدد من الشخصيات البارزة في الدولة. ومن بين الأسماء التي تذكرها الوثيقة الشيخ سعيد النور تال، أحد كبار علماء السنغال، وحفيد المجاهد الإصلاحي الحاج عمر الفوتي تال، وهو ما يبيّن حرص الوسيط المحلي على ربط الشاعر الجزائري برموز ذات ثقل ديني وتاريخي في الفضاء الغرب إفريقي.

كما تفيد الرسالة بأن مفدي زكريا التقى أيضًا بـ المستشار لدى رئاسة الحكومة المكلف بالشؤون الإسلامية، في مؤشر على امتداد شبكة الاستقبال إلى الدوائر الرسمية ذات الصلة بالحقل الديني. وتلمّح الوثيقة، دون تحديد، إلى تنظيم لقاءات أخرى مع شخصيات لم يُذكر اسمها، وهو ما يدل على اتساع دائرة التواصل التي أُتيحت لمفدي زكريا خلال هذه الزيارة، وعلى تعدد مستويات الوساطة التي مارسها الشيخ محمد الحبيب. وتدل هذه الرسالة على المكانة المرموقة للطريقة التجانية وشيوخها في السنغال، حيث يسهُل عليهم ترتيب لقاءات مع العلماء والمسؤولين، فضلًا عن الدور المحوري للشيخ محمد الحبيب التجاني في تعزيز الروابط العلمية والثقافية بين الجزائر وبلدان غرب إفريقيا.

ويُستفاد من مضمون الرسالة أن هذا الدعم ذا الطابع البروتوكولي، انطوى على مساندة تنظيمية وعلاقاتية مكّنت مفدي زكريا من الوصول إلى فضاءات علمية وإدارية مؤثرة. كما تعكس الوثيقة الدور المركزي الذي كانت تؤديه الشبكات الصوفية التجانية في تيسير حركة الفاعلين الثقافيين الوافدين من المغرب العربي، وفي إدماجهم داخل البنى الاجتماعية والدينية لغرب إفريقيا خلال ستينيات القرن العشرين. وكانت هذه الشبكات إطارًا عمليًا لتلاقي المسارات الأدبية والدعوية والسياسية في مرحلة ما بعد الاستقلال، وأسهمت في تحويل الزيارات الثقافية الفردية إلى مناسبات للتواصل المؤسسي بين المغرب العربي وإفريقيا جنوب الصحراء.

نص الرسالة الثالثة: من الشيخ محمد الأمين ود السنغالي إلى الشيخ أحمد التجاني التماسيني

" حضرة الوالد المحترم الشيخ الحاج أحمد التجاني التماسيني متّعنا الله بطول بقائه آمين ... ومن جملة ما أخبرته لكم من تلك الرسالة انتظارنا لوصول الشاعر الثوري الأستاذ مفدي زكريا ولقد عاد الآن من تونس عبر ساحل العاج على نيّة العودة إلينا في أكتوبر المقبل ان شاء الله تعالى؟ وهو يريد فتح معرض هنا بالعاصمة فطلب مني أن أعمل معه كمشارك في المشروع الهام فقال لي: عليك المحل والعمل فعليه هو جلب البضائع؟ وترك هنا بعض النسخ من كتابه لدى سفير تونس لأقوم ببيعها ... والغريب في الأمر أنه على حسب قوله شريف النسب، وتربى بيد الشيخ الجليل الشهير محمد مناشو التونسي وأيضا صديق لكم بدليل أنكم كتبتم له رسالة إلى الشريف محمد الحبيب.... والسلام / ولدكم محمد الأمين ود[21]".

تفيد رسالة مؤرخة في 02 أوت 1966، وجّهها الشيخ محمد الأمين ود[22] من دكار بالسنغال إلى الشيخ أحمد التجاني، بتطورات جديدة في مسار رحلة الشاعر الجزائري مفدي زكريا داخل الفضاء الغرب إفريقي، وبالآفاق التي بدأت تتبلور بشأن تحويل هذه الزيارة من مجرد جولة ثقافية إلى مشروع ذي طابع تجاري – ثقافي مستدام.

وتشير الرسالة إلى أن مفدي زكريا كان قد بلغ آخر محطة في رحلته آنذاك، وهي دولة ساحل العاج، قبل أن يعود إلى تونس، مع التعبير عن نيته العودة مجددًا إلى السنغال في شهر أكتوبر من السنة نفسها لاستكمال ما بدأه. ويُفهم من مضمون الوثيقة أن هذه العودة المرتقبة ارتبطت بمشروع عملي يتمثل في فتح محل أو معرض تجاري في العاصمة دكار، يكون مخصصًا لتوزيع وبيع بضائع مختلفة.

وتُظهر الرسالة أن مفدي زكريا اقترح على الشيخ محمد الأمين ود الدخول معه في شراكة مباشرة، تقوم على توزيع الأدوار بين الطرفين، حيث يتكفل الشيخ ود بتوفير المحل والإشراف على العمل اليومي، بينما يتولى مفدي زكريا جلب البضائع من الخارج. ورغم أن طبيعة هذه البضائع لم تُحدَّد بدقة في الرسالة، إلا أن السياق العام، إضافة إلى الإشارة اللاحقة، يوحي بأنها ربما شملت نسخًا من مؤلفات الشاعر إلى جانب مواد أخرى.

وفي هذا الإطار، تفيد الرسالة بأن مفدي زكريا ترك عددًا من نسخ أحد كتبه لدى سفير تونس في السنغال، على أن يتولى الشيخ محمد الأمين ود مهمة بيعها وتوزيعها محليًا. وتبرز هذه الإشارة الدور الذي لعبه السفير التونسي بوصفه حلقة وصل بين الشاعر والوسط المحلي، بما يعكس تداخل القنوات الدبلوماسية مع الشبكات الدينية في دعم المبادرات الثقافية العابرة للحدود.

كما تتضمن الرسالة ملاحظات ذات طابع تعريفي، يورد فيها الشيخ محمد الأمين ود ما نقله له مفدي زكريا بشأن أصوله ونشأته، مشيرًا إلى انتسابه الشريف وتكوينه على يد الشيخ محمد مناشو، فضلًا عن علاقته السابقة بالشيخ أحمد التجاني. وهذا يدل على عمق العلاقة التي نشأت بين الشاعر والشيخ ود، والتي امتدت لتشمل تبادل السيرة الشخصية، والخبرة العلمية والثقافية، فضلاً عن التعاون العملي في المشاريع الأدبية والثقافية. ويبدو أن الشيخ محمد الأمين ود، كان معجبًا بالثورة الجزائرية ومتابعا لأخبارها، حيث وصف مفدي زكريا بالشاعر الثوري. ويُفهم من إدراج هذه المعطيات أن مفدي زكريا كان يسعى إلى تعزيز مشروعية الشراكة المقترحة، من خلال ربطها برأسمال رمزي ديني وشبكات ثقة قائمة.

وتبرز هذه الوثيقة، في مجموعها، الدور المحوري الذي اضطلع به الشيوخ التجانيون في تيسير أنشطة مفدي زكريا الثقافية والتجارية في غرب إفريقيا، سواء عبر الوساطة المباشرة أو من خلال ربطه بفاعلين دبلوماسيين ورسميين. كما تكشف عن مرحلة مبكرة من محاولات تحويل الإنتاج الثقافي والأدبي إلى مشاريع توزيع ونشر محلية، ضمن سياق ما بعد الاستقلال، حيث تداخلت المبادرات الفردية مع الأطر الدينية والدبلوماسية في تشكيل شبكات التبادل المغاربي– الإفريقي.

نص الرسالة الرابعة: من الشاعر مفدي زكريا (تونس) إلى الشيخ أحمد التجاني التماسيني

" ... الأخ الكريم الهمام الفاضل سيدي الشيخ أحمد التيجاني حفظه الله سلاما وتحيّة مباركة وتقديرا، ... سيدي أشكركم من صميم الفؤاد على رسائل التوصية التي زوّدتموني بها والتي أرسلتموها مباشرة لدكار ولقد نزلت بدكار في 21 إلى 30 من شهر جوليت الماضي وكنت محل حفاوة بالغة وإكرام فائق في طرف الأخ الكريم الشيخ سيدي محمد الحبيب الذي يتمتّع بسمعة طيّبة جدّا في ربوع السنغال لما اتّصف به من مكارم أخلاق وسمو روح واخلاص للمبادئ كما تشرّفت بزيارة الشيخ سعيد نور والشيخ عبد العزيز خليفه ثم مدير ديوان وزارة الخارجية ووزارة الأخبار ووزارة الثقافة وتشرّفت أيضا بزيارة الشيخ الطاهر دُكري مدير الشؤون الاسلامية والعربية لدى رئاسة الجمهورية وهو رجل مثقف على غاية في الاطلاع والمعرفة والتواضع أما فيما يخص تصريف التقويم فلم أحصل لحد الآن على نتيجة ايجابية غاية ما هنالك تركت بيد الشيخ محمد الحبيب (256) نسخة واعدني بتصريفها لدى معارفه. أما الحكومة فقد واعدني الشيخ الطاهر دكري بالمذاكرة بتصريفها مع رئيس الجمهورية المتغيّب حاليا بفرنسا ... وكذلك الأمر في ساحل العاج، وقد عزمت على الرجوع لهناك في أواسط شهر أكتوبر بإذن الله وقد سعدنا في تونس بزيارة وفد من مشايخ السنغال بدعوة من فخامة الرئيس الحبيب بورقيبة ... وألقيت قصيدا في الذكرى شدت به بالروابط الروحية التي تجمعنا باخواننا في السنغال وشدت خصوصا بنور الهداية الذي نشرته هناك الطريقة التجانية ... ودائما على استعداد لخدماتكم تقبلوا سيدي الشيخ عظيم ممنونيتي وخاص عواطفي وزكي سلامي.... أخوكم المخلص مفدي زكريا"[23].

وتلخّص رسالة الشاعر الجزائري مفدي زكريا التي بعثها إلى الشيخ أحمد التجاني عند وصوله إلى تونس بتاريخ 16 أوت 1966 رحلته إلى البلدان الإفريقية، وتقدّم تقييمًا ذاتيًا لتجربته هناك، معبّرًا عن تقديره العميق للشيخ أحمد التجاني التماسيني، مع إبراز الدور الحاسم الذي لعبته تزكية الشيخ في تيسير تحركاته وأنشطته العلمية والثقافية في السنغال وساحل العاج. وتبرز هذه الرسالة أيضًا تقدير الشاعر للدور الروحي والعملي للطريقة التجانية، وتأكيده على أهمية الشبكة الواسعة التي يتيحها شيوخ التجانية لدعم المثقفين والباحثين الجزائريين خارج الوطن.

وتؤكد الرسالة أن مفدي زكريا استفاد بشكل مباشر من رسائل التوصية التي وُجّهت باسمه إلى دكار، حيث أقام في العاصمة السنغالية خلال الفترة الممتدة من 21 إلى 30 جويلية 1966 .ويشير مضمون الوثيقة إلى أن هذه التزكية مكّنته من استقبال رسمي واجتماعي لافت، تولّى الإشراف عليه الشيخ محمد الحبيب التجاني، الذي يصفه مفدي زكريا بكونه شخصية ذات سمعة طيبة داخل المجتمع السنغالي، لما يتمتع به من مكانة أخلاقية وروحية ضمن الأوساط الدينية.

وتُبرز الرسالة قيمة اللقاءات التي أُتيحت لمفدي زكريا في دكار، حيث يذكر زيارته لعدد من كبار علماء الطريقة التجانية، من بينهم الشيخ سعيد نور تال والشيخ عبد العزيز خليفة، إضافة إلى لقاءات مع مسؤولين إداريين في وزارات الخارجية والإعلام والثقافة .كما يشير إلى لقائه بالشيخ الطاهر دُكري، مدير الشؤون الإسلامية والعربية لدى رئاسة الجمهورية، وهو ما يعكس امتداد تحركاته إلى الدوائر الرسمية ذات الصلة بالحقلين الديني والثقافي.

وفيما يتعلق بالجانب العملي من الرحلة، توضح الرسالة أن مشروع تصريف «تقويم المغرب العربي الكبير » لم يحقق نتائج ملموسة حتى تاريخ كتابة الرسالة، باستثناء ترك 256 نسخة لدى الشيخ محمد الحبيب التجاني، الذي تعهّد بتوزيعها عبر معارفه. كما تفيد الوثيقة بأن الجانب الحكومي أبدى استعدادًا لدراسة إمكانية اعتماد التقويم، حيث وعد الشيخ الطاهر دكري بمناقشة الأمر مع رئيس الجمهورية، الذي كان متغيبًا آنذاك في فرنسا، ما يعكس طبيعة التفاعل الرسمي الحذر مع المبادرات الثقافية الفردية.

وتشير الرسالة كذلك إلى أن الوضع في ساحل العاج لم يختلف كثيرًا عن الحالة السنغالية، مع إعلان مفدي زكريا عزمه العودة إلى هناك في منتصف أكتوبر 1966 لإكمال مشروعه العلمي والثقافي. ويُفهم من هذا المعطى أن الرحلة الإفريقية شكّلت جزءًا من مشروع مستمر كان يسعى إلى ترسيخه عبر زيارات متكررة وبناء علاقات طويلة الأمد.

وتتوسع الرسالة في إبراز البعد الرمزي والروحي للعلاقة بين تونس والسنغال، من خلال الإشارة إلى زيارة وفد من مشايخ السنغال إلى تونس بدعوة رسمية من الرئيس الحبيب بورقيبة، وإلى مشاركة مفدي زكريا في هذه المناسبة بإلقاء قصيدة احتفالية، شدّد فيها على الروابط الروحية الجامعة، وعلى الدور التاريخي الذي اضطلعت به الطريقة التجانية في نشر الهداية الإسلامية في غرب إفريقيا. ويبدو من طبيعة الوفد أنهم كانوا من أتباع الطريقة التجانية، وهو ما يؤكّد قوة العلاقات الثقافية والدينية بين الشعوب الإفريقية وتونس، وعلى مكانة الشاعر مفدي زكريا لدى الأوساط الرسمية التونسية، بما في ذلك الرئيس التونسي، ودوره كحلقة وصل بين الجزائر، تونس، والسنغال في المجال الثقافي والديني.

وتختتم الرسالة بتجديد مفدي زكريا استعداده لخدمة الشيخ أحمد التجاني، وتأكيد امتنانه العميق له، وهو ما يعكس إدراكه لأهمية الدعم الروحي والشبكي الذي وفرته له الطريقة التجانية في إنجاح تحركاته الإفريقية.

تشكل الرسائل المتبادلة بين الشاعر مفدي زكريا والشيوخ التجانيين، إضافة إلى تفاعلاته مع الوفد السنغالي، نموذجًا واضحًا للعلاقات الثقافية والروحية التي أسهمت في تعزيز الامتداد الإفريقي للطريقة التجانية. وتجمع هذه الرسائل بين ثلاثة مستويات من التأثير: المستوى الروحي والثقافي المتمثل في الشيخ أحمد التجاني التماسيني، والمستوى التنفيذي والوسيط في الشخصيات المحلية مثل الشيخ محمد الحبيب التجاني، والمستوى الشخصي والداعم المتمثل في الشيخ محمد الأمين ود، وصولًا إلى التواصل الرمزي مع الوفود الأفريقية في تونس، مما يبرز شبكة مترابطة من العلاقات التي أسهمت في ترسيخ الامتداد الثقافي للطريقة التجانية في غرب إفريقيا. كما تظهر كيف تمكن الشيوخ من دعم الأدباء والمثقفين الجزائريين، ونقل المعرفة الإسلامية والثقافة الصوفية، وتعزيز أواصر التعاون بين مختلف المجتمعات الإسلامية، بما يجعل الطريقة التجانية نموذجًا فعّالًا للانتشار الثقافي والديني بين الجزائر وغرب إفريقيا.

نص الرسالة الخامسة: من الشيخ محمد الأمين ود السنغالي إلى الشيخ أحمد التجاني التماسيني

" دكار في 31 أكتوبر 1967م

حضرة الوالد المحترم الشيخ الحاج أحمد... فكنت منتظرا نتيجة تعارفنا بصاحبكم النبيل الأستاذ مفدي زكريا ذلك الشاعر الثوري فقد زارنا مرتين زيارة استطلاعية في أكتوبر 1966 وفي فبراير 1967 مظهرا رغبته في التعاون معنا في أمر التجارة على اختلاف أنواعها. ثم اتفقنا في فبراير على تأسيس شركة خفية الاسم مقرها دكار ورأس مالها يكون مليونين بفرنكاتنا السنغالية ويترأس مجلس إداريتها الشيخ الحاج ابن عباس صل ... ولما قفل الأخ المذكور إلى باريس صار يراسلنا باستمرار حتى أرسل إلينا يوما بواسطة أحد الحجاج من الأقارب تم التعارف بينهما هنالك بأَبِدْجَانْ عاصمة "ساحل العاج"...، أرسل إلينا عينات من الكتب الدينية منها القرآن الكريم المترجم باللغة الفرنسية فرآها بعض أصدقائي المثقفون بتلك اللغة فصرحوا بأنها مفيدة، والحّوا علّي لجلبها فورا. وهكذا كاتبت الأستاذ المذكور طبق رغباتهم. وفعلا قد أرسل الكتب وشرعت في ترويجها على الشعب فلاحظت أنه لا يشتريها إلا أصدقائي لا غير لا لشيء دون ثمنها الباهض.

فراجعت المسئلة بسؤال بعض الكتبيين هنا بدكار ثمن بعض الكتب التي من ضمن أسماء الكتب العربية التي يبيعها صاحب مطبعة "قرطاج" في (باريس) وهو الأستاذ نور الدين بن محمود، ... ومن تلك الكتب: الحصن الحصين، فهو كتيّب صغيرة توضع في الجيب للتعويذ يبيعه السيد نور الدين بـ 50 فرنكا وذلك ثمنه يا أبت هنا باثني عشر: (طوزينة) لا الوحدة ... فأريد من سيادتكم إن أنتم رأيتموه أو كاتبتموه أن تقولوا له أننا في انتظاره أو رسالة منه يبدي فيها رغبته في التعاون معنا أو عدم رغبته فيه فتلغي ما أنجزناه ونطرق بابا آخر فباب الله واسع ... ويسلم عليكم الشريف محمد الحبيب التجاني والشيخ الحاج ابن عباس صل... محمد الأمين ود ..."

تُظهر هذه الرسالة المؤرخة في 31 أكتوبر 1967، بعث بها الشيخ محمد الأمين ود من دكار إلى الشيخ أحمد التجاني، الجهود المبذولة لتأسيس مشروع تجاري مشترك بين الشاعر الجزائري مفدي زكريا وعدد من الفاعلين المحليين في السنغال. في سياق اتسم بتنامي المبادرات الفردية العابرة للأقاليم خلال مرحلة ما بعد الاستقلال. وتكتسب هذه الوثيقة أهمية تاريخية لكونها تسجل، من داخل التجربة ذاتها، مسار الانتقال من التعارف والتعاون المبدئي إلى حالة من التردد والتعثر.

تشير الرسالة إلى أن مفدي زكريا كان قد قام بـزيارتين استطلاعيتين خلال الفترة من أكتوبر 1966 إلى فبراير 1967، أبدى خلالها رغبته في التعاون في شتى مجالات التجارة. واستنادًا إلى هذه اللقاءات، تم الاتفاق على تأسيس شركة خفية الاسم، مقرها دكار، برأسمال قدره مليونان من الفرنكات السنغالية، ويترأس مجلس إدارتها الشيخ الحاج ابن عباس صل، مع نائبين من ذويه ذوي خبرة تجارية. بمشاركة أشخاص ذوي خبرة في المجال التجاري، وهو ما يعكس مستوى من التنظيم المسبق والإعداد المؤسسي للمشروع.

وتوضح الوثيقة أن مفدي زكريا كان يراسل المشاركين في المشروع بعد مغادرته إلى باريس، وأنه أرسل عينات من الكتب الدينية، من بينها القرآن الكريم المترجم إلى الفرنسية، وهو ما أثار اهتمام بعض المثقفين المحليين. وقد باشر الشيخ محمد الأمين ود بترويج هذه الكتب، إلا أن المبيعات اقتصرت على دائرة محدودة من الأصدقاء، إذ بدا ثمن الكتب مرتفعًا بالنسبة للجمهور العام.

إلا أن التجربة العملية المرتبطة بتوزيع هذه الكتب في دكار كشفت، وفق ما ورد في الرسالة، عن محدودية جدواها الاقتصادية، وذلك بسبب ارتفاع أسعارها مقارنة بالكتب المتداولة في السوق المحلية .ويعزز صاحب الرسالة هذا الاستنتاج بمقارنة أسعار بعض العناوين الدينية المستوردة من باريس لصاحبها نور الدين بن محمود بأسعار نظيراتها المتوفرة لدى الكتبيين المحليين، مبرزًا وجود فارق سعري كبير أثر سلبًا في الإقبال عليها خارج دائرة ضيقة من المهتمين.

وفي هذا السياق، تعكس الرسالة شعورًا متزايدًا بعدم التكافؤ في العلاقة التجارية، لا سيما في ظل إرسال الكتب بدل المساهمة المالية المتفق عليها، ما استلزم مراسلات متكررة لتأكيد شروط التعاون، وهو ما يُفهم منه وجود اختلاف في تصور طبيعة الشراكة وحدودها.

وتختتم الرسالة بمناشدة الشيخ أحمد التجاني بالتدخل، في حال التواصل مع الطرف الآخر، من أجل استجلاء موقف نهائي واضح بشأن الاستمرار في المشروع أو العدول عنه. وتؤكد الوثيقة أن الإجراءات الإدارية المتعلقة بتأسيس الشركة كانت قد أُنجزت بالفعل، ما يجعل استمرار الغموض سببًا كافيًا لإعادة النظر في المشروع برمته والبحث عن بدائل أخرى.

وتبرز هذه الرسالة، في مجملها، حدود التداخل بين الرأسمال الرمزي المرتبط بالمكانة الأدبية والنضالية من جهة، ومتطلبات الشراكة الاقتصادية العملية من جهة أخرى. كما تقدم مثالًا دالًا على الصعوبات التي واجهت محاولات بناء تعاون اقتصادي وثقافي بين فاعلين مغاربيين وغرب إفريقيين في ستينيات القرن العشرين، ضمن سياق إقليمي اتسم بتعدد الفاعلين وتباين المرجعيات القيمية والاقتصادية.

الخاتمة:

بعد عرض هذه الورقة العلمية، يمكن استخلاص النتائج الآتية:

تؤكد هذه الدراسة على الدور المركزي الذي اضطلع به الشيخ أحمد التجاني التماسيني في تعزيز التواصل بين المغرب العربي وغرب إفريقيا خلال الستينيات، من خلال شبكة واسعة من العلاقات الروحية والثقافية والتجارية. فقد مثّل الشيخ حلقة وصل أساسية لمفدي زكريا، مكنه من النفاذ إلى كبار علماء الطريقة التجانية، وفتح أمامه آفاقًا ثقافية وفكرية واسعة، ساهمت في نشر مؤلفاته وتوسيع نشاطاته، بما يشير إلى قوة الروابط الصوفية في دعم المبادرات الفردية والجماعية بعد الاستقلال. كما أظهرت الوثائق كيف نجحت التزكية الصوفية في الجمع بين البعد الروحي، الثقافة، والمصلحة الاقتصادية، ما يجعل هذه التجربة نموذجًا فريدًا للتفاعل المغاربي– الإفريقي بعد الاستقلال.

على المستوى العلمي، بيّنت الدراسة آليات التواصل غير الرسمية بين المثقفين والسلطات الدينية والحكومية، وأبرزت أهمية الشبكات الصوفية في نقل المعرفة، وتنظيم النشاطات التجارية والثقافية، بما يتيح إعادة النظر في الدراسات التقليدية التي غالبًا ما تركز على الدولة وحدها أو على المبادرات الثقافية الفردية. أما على المستوى الحضاري، فقد كشفت عن قدرة الفعل الروحي على تجاوز الحدود الجغرافية والسياسية، وخلق روابط متينة بين الشعوب المغاربية والغربية الإفريقية، مبنية على الاحترام المتبادل، الثقة، والالتزام بالقيم الصوفية.

ختامًا، تقدم تجربة الشيخ أحمد التجاني ومفدي زكريا درسًا تاريخيًا غنيًا حول الإمكانات التي توفرها الشبكات الروحية والثقافية لتعزيز التفاعل بين مختلف الفاعلين الاجتماعيين، كما تفتح آفاقًا جديدة للبحث في العلاقات المغاربية – الإفريقية المعاصرة، وتدعو إلى استكشاف الدور الذي يمكن أن تلعبه الروحانية والثقافة في دعم المبادرات الاقتصادية والتعليمية والثقافية في السياقات الحديثة. إن فهم هذه الشبكات والآليات التي تتحرك ضمنها يمكن أن يوفر نماذج قابلة للتطبيق في الدراسات المعاصرة حول الترابط الثقافي والتعاون المغاربي– الإفريقي، ويؤكد على أهمية إعادة النظر في الدور الوسيط للشخصيات الروحية والثقافية في التاريخ الحديث والمعاصر.

التوصيات والمقترحات المستقبلية:

1. دراسات مقارنة: تشجيع الدراسات المقارنة بين الطرق الصوفية في الجزائر ودول غرب إفريقيا، لتوضيح دورها في نشر الثقافة الإسلامية والحفاظ على التراث الديني.
2. تسليط الضوء على المثقفين الجزائريين: دراسة أثر الأدباء والمثقفين الجزائريين مثل مفدي زكريا في بناء جسور علمية وثقافية بين الجزائر والدول الإفريقية، ودورهم في تعزيز الهوية الإسلامية والثقافية.
3. تفعيل برامج ثقافية مشتركة: اقتراح تنظيم برامج تبادل ثقافي وأكاديمي بين الزوايا الصوفية الجزائرية ونظيراتها في السنغال وساحل العاج، لتعزيز التواصل الحضاري ونقل المعرفة.
4. أبحاث مستقبلية حول النفوذ الاجتماعي: دراسة تأثير الشيوخ التجانيين في تطوير المجتمع المحلي والسياسة في إفريقيا الغربية، خاصة في مجالات التعليم والثقافة والإرشاد الروحي.

الملاحق:

الملحق رقم 01 : رسالة من الشيخ محمد الأمين ود السنغالي إلى الشيخ أحمد التجاني التماسيني بتاريخ 31 أكتوبر 1967م يشكوه فيها مفدي زكريا

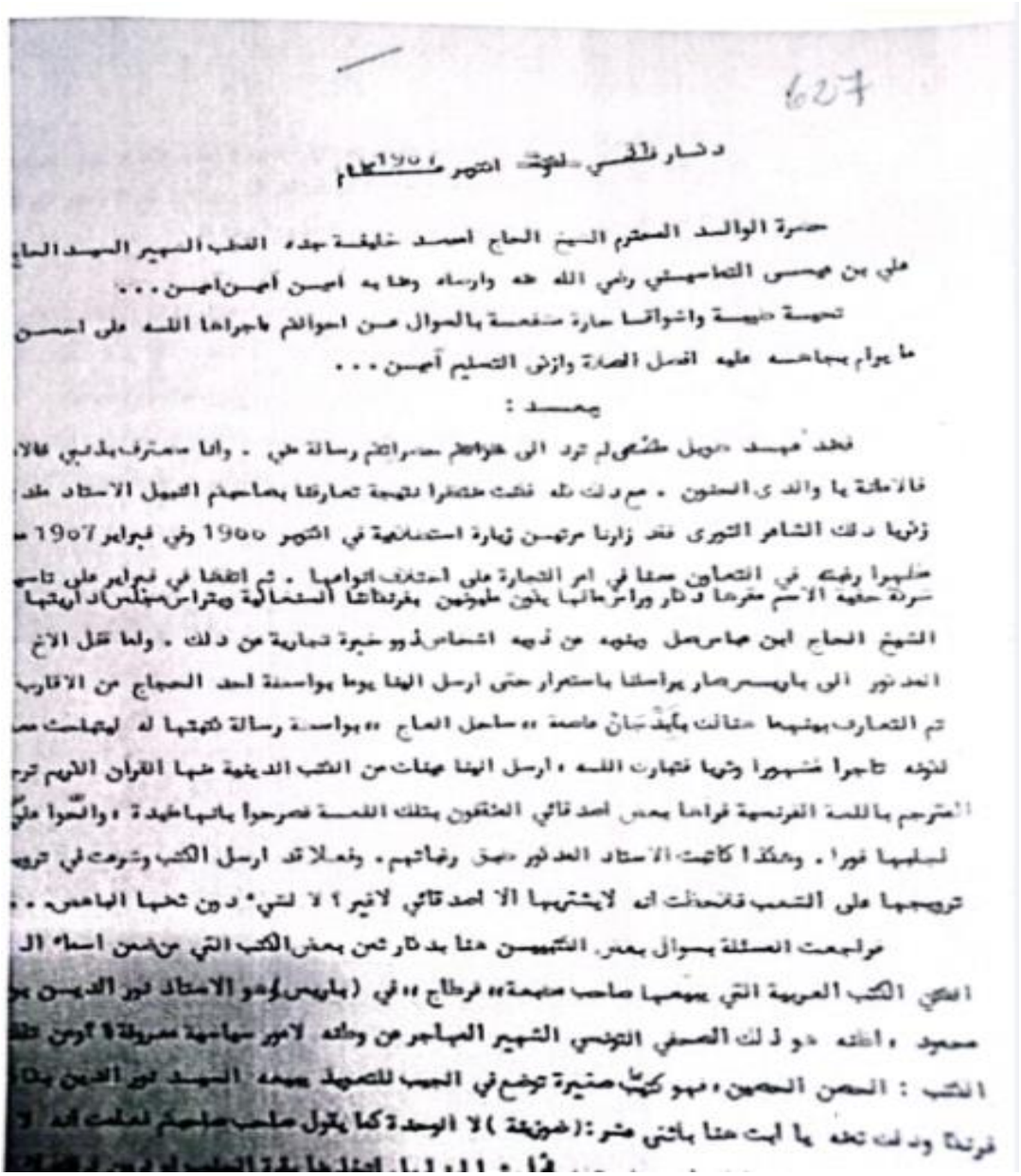

627

دشار فلفي ـ تونس ـ الشهر ـ 1907 عام

حضرة الوالد المحترم الشيخ الحاج احمد خليفة سيدي القطب الشهير السيد الحاج علي بن عيسى التماسيني رضي الله عنه وارضاه وعلينا به امين امين امين ...

تحية طيبة واشواقا حارة مشفعة بالسؤال عن احوالكم باجراها الله على احسن ما يرام بجاهه عليه افضل الصلاة وازكى التسليم آمين ...

بعد :

فقد عهد دليل مشفعي لم ترد الي فواضل حضراتكم رسالة مني . وانا معترف بذنبي قائلا: فالاعتذار يا والدي المحترم . مع ذلك فقد فكرت مفتكرا نتيجة تعارفنا بصاحبكم الفضل الاستاذ محمد زكريا ذلك الشاعر الشهير فقد زارنا مرتين زيارة استطلاعية في الشهر 1906 وفي فبراير 1907 م مظهرا رغبته في التعاون معنا في امر التجارة على استلاف اتوابها . ثم اتفقنا في فبراير على تاسيس شركة تحقيقا الاسم مقرها تونس وفروعها باقي مدن القطر التونسي بفرنكاتها السفاقسية وبتراس مبلغ دراهمها الشيخ الحاج ابن عباس مع ذويه اشخاص ذوو خبرة تجارية من ذلك . ولما نقل الاخ المحترم الى باريس صار يراسلنا باستمرار حتى ارسل الينا يوما بواسطة احد الحجاج من الاقارب تم التعارف بينهما فقالت بكيفية خاصة ، صاحل الحاج ، بواسطة رسالة كتبتها له لتجلس معه لتؤخذ تاجرا مشهورا وثريا فتجارت الله ، ارسل الينا عدة من الكتب الدينية منها القرآن الكريم ترجمة المترجم باللغة الفرنسية فراجعنا بعض اصدقائي المثقفون بتلك اللغة فصرحوا بانها جيدة ، واثنوا علي لسلبها فورا . وهكذا كانت الاستاذ المحترم حسب رغباتهم . وفعلا قد ارسل الكتب وشرعت في ترويجها على التعيب فاتضح انه لايشتريها الا احد قائي لاغير ؟ لا لشيء دون شيء الباعث . .

فراجعت المسئلة بسوال بعض المثقفين هنا بدار ثمن بعض الكتب التي من بين اسماء الى اعلى الكتب العربية التي يسميها صاحب مطبعة ، فرطاج ، في (باريس) وهو الاستاذ نور الدين بن سعيد ، اظنه هو ذلك الصفي التونسي الشهير المهاجر عن وطنه لامور سياسية معروفة ؟ ومن ذلك الكتب : الحصن الحصين ، فهو كتيب صغير توضع في الجيب للتعهد بسبحة السيد نور الدين بن فرنانة وقد نسخ بها ابيت هنا باثنتي عشر : (خوزقة) لا الوحدة كما يقول صاحب صاحبكم لعلمت انه

الملحق رقم 02: رسالة من مفدي زكريا إلى الشيخ أحمد التجاني التماسيني يشكره فيها على رسائل التوصية

تقويم المغرب العربي الكبير
ANNUAIRE DU GRAND MAGHREB ARABE
جميع المراسلات توجه لادارة التحرير والتنسيق – مقدي زكريا – 19 نهج موسكو – تونس
— الهاتف : 247.346 – 359.008 —

الاخ الكريم الهمام الفاضل سيدي الشيخ احمد التجاني حفظه الله سلاما وتحية
مباركة وتقديرا، وبعد تأخرت عن كتابتكم لانني أخبرت انكم
بقسنطينة وكلفت من بعض طلبتي عنوانكم بها ولازلت انتظر فكتبت
اليكم اليوم هذه الرسالة الى تاسيس على أمل الا توجه اليكم لقسنطينة
سيدي - اشكركم من صميم الفؤاد على رسائل التوصية التي زودتموني
بها والتي ارسلتموها مباشرة لدكار ولقد نزلت بدكار من 8 الى 10
من شهر جويلية الماضي وكنت محل حفاوة بالغة واكرام فائق من طرف
اخانا الكريم الشيخ سيدي محمد الحبيب الذي يتمتع بسمعة طيبة جدا
في ربوع السنغال لما اتصف به من كمال اخلاق، وسمو روح، واخلاص
للمبادئ كما تشرفت بزيارة الشيخ سعيد نور والشيخ عبد العزيز
خليفة، ثم مدير ديوان وزارة الخارجية، ووزارة الاخبار، ووزارة الثقافة
وتشرفت ايضا بزيارة الشيخ الطاهر وكيل عام الشؤون الاسلامية
والعربية لدى رئاسة الجمهورية. وهو رجل متثقف على غاية من الاطلاع والمعرفة
والتواضع، اما فيما يخص تصريف التقويم فلم احصل لحد الآن على نتيجة ايجابية
غاية ما هنالك تركت بيد الشيخ محمد الحبيب (63) نسخة واعدني بتصريفها
لدى معارفه. اما الحكومة فقد واعدني الشيخ الطاهر وكري بالمذاكرة
مع رئيس الجمهورية المنتخب حاليا بفرنسا. وواعدني خيرا عند رجوعه
على طريق تونس، وكذلك الامر في ساحل العاج، وقد عزمت على الرجوع
لهناك في اواسط شهر النور باذن الله.
وقد سعدنا في تونس بزيارة وفد من مشايخ السنغال بدعوة من فخامة الرئيس
الحبيب بورقيبة بمناسبة العيد (63) لذكرى ميلاده بالمستير

الاحالات والمراجع:

[1] علي غريسي، **أعلام وأختام، ج1**، مطبعة SIB، الوادي، 2013، ص 55.
[2] أحمد غريسي، **دور الشيخ أحمد التجاني التماسيني في الحفاظ على الوحدة الترابية الوطنية**، المجمع الثقافي للزاوية التجانية بتماسين، الندوة التاريخية بمناسبة الاحتفالات المخلدة للذكرى 64 لاندلاع الثورة التحريرية، بعنوان: وادي ريغ والنضال الثوري - الزاوية التجانية بتماسين أنموذجا، دار المجدد للطباعة والنشر والتوزيع، سطيف، 2019، ص. 52، 53.
[3] علي غريسي، "الدور التنويري والمواقف الوطنية لمشايخ الطريقة التجانية بتماسين في الفترة الممتدة من سنة 1919- 1939"، الملتقى الولائي الثالث بعنوان: الحركة الوطنية الجزائرية في خضم التطورات الدولية ووحشية الخنق الاستعماري (1919- 1939)، الاتحاد الوطني للطلبة الجزائريين يومي 19-2013/2/20 بجامعة الوادي، دار المجدد، سطيف- الجزائر، 2015، ص. 60، 61.
[4] علي غريسي، **أعلام وأختام**، ج1، منشورات الزاوية التجانية بتماسين، مطبعة SIB، الوادي- الجزائر، ط1، 2013، ص. 63.
[5] أحمد غريسي، المرجع السابق، ص. 53، 54.
[6] عبد القادر موهوبي، **معجم الصفوة**، ج 1، مطبعة تين وزيتون، الجزائر، 2012، ص 324. وعبد الحميد قادري: **تقرت البهجة قراءة تاريخية اجتماعية**، دون دار نشر، تقرت (ورقلة)، 2006، ص 133.
[7] عبد المالك التجاني، "دور رجال الطريقة التجانية في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر"، محاضرة ألقيت في الملتقى الدولي الأول للإخوان التجانيين، أيام 23-24-25 / نوفمبر 2006 بعين ماضي (ولاية الأغواط). ص. 5.
[8] علي غريسي، **أعلام**، المرجع السابق، ص. 69- 72.

[9] أحمد غريسي، المرجع السابق، ص. 54، 55.
[10] السعيد عقبة، الزاوية التجانية بتماسين ودورها الاجتماعي بالمنطقة، الملتقى الوطني حول: **الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الجنوب الجزائري خلال القرنين 19/18 من خلال المصادر المحلية**، المركز الجامعي بالوادي، 25/24 جانفي 2012، ص 153.
[11] بوصوري الناصر، **قراءة في إليادّة الجزائر لشاعر الثورة مفدي زكريا**، مجلة نتائج الفكر، الصادرة عن معهد الآداب واللغات، المركز الجامعي صالحي أحمد النعامة، المجلد 3، عدد2، نشر بتاريخ 01/ 2019/12، ص. 133.
[12] رابح خدوسي: موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، ج2، منشورات الحضارة، الجزائر، 2014، ص 603.
[13] بوصوري الناصر، **قراءة في إليادّة الجزائر لشاعر الثورة مفدي زكريا**، مجلة نتائج الفكر، الصادرة عن معهد الآداب واللغات، المركز الجامعي صالحي أحمد النعامة، المجلد 3، عدد2، نشر بتاريخ 01/ 2019/12، ص. 133.
[14] حفناوي بعلي، **صورة فرنسا/ الاستعمار في إليادّة الجزائر/ مفدي زكرياء**، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة فرحات عباس- سطيف، الجزائر، مج 2، عدد 2، مقال نشر بتاريخ 2005/11/01، ص. 19، 20.
[15] مصطفى ابن الحاج بكير حمودة : **أمجادنا تتكلم وقصائد أخرى**، موفم للنشر، الجزائر، سنة 2009، ص. 149.
[16] السعيد عقبة: **التواصل الحضاري بين خلفاء الطريقة التجانية بتماسين وبايات تونس من خلال الوثائق الأرشيفية**، الندوات الفكرية للجامعة الصيفية، منشورات الزاوية التجانية بالوادي 2014/1435، دار الجائزة، القبة- العاصمة، 2015، ص 42.
[17] وُلد الشيخ محمد بن مناشو، مقدم الطريقة التجانية، سنة 1882م في تونس العاصمة. نشأ في بيئة علمية محافظة، حيث حفظ القرآن الكريم منذ الصغر، ثم التحق بطلبة جامع الزيتونة، أحد أبرز المراكز العلمية في العالم الإسلامي آنذاك. أظهر اجتهادًا وتميزًا في تحصيله العلمي، ونال شهادة التطويع عام 1901م، مما أهله للانخراط في العمل التعليمي والدعوي ضمن شبكة العلماء والزوايا الصوفية، تخرّج على يد الشيخ محمد بن مناشو عدد كبير من التلاميذ الذين أصبحوا من رموز العلم والثقافة، من بينهم شاعر الثورة الجزائرية مفدي زكريا، مما يبرز دوره الكبير في نقل العلم والمعرفة الروحية والأدبية عبر الأجيال.
وللشيخ محمد بن مناشو مؤلفات عدة، تناولت الجوانب الفكرية والدينية واللغوية، من أبرزها: قمع التعصب وأهواء أعداء التجاني بالمشرق والمغرب، ورسالة في الرد على رشيد رضا صاحب المنار، وكتاب لب التاريخ، إضافة إلى مؤلفات في اللغة العربية تشمل كتابًا في النحو وآخر في الصرف. توفي الشيخ محمد بن مناشو عام 1933م في بلدية رادس، ودفن بمقبرة الفدان بتونس. وقد كرّمته الصحف التونسية تكريمًا لعلمه ومكانته، إذ رثته جريدة الوزير بتاريخ 5 صفر 1352هـ تحت عنوان: "رجل عظيم مات"، كما نشرت جريدة النهضة في عددها 8078 مقالًا بعنوان: "الكل أجل كتاب"، مؤكدتين بذلك مكانته العلمية والإنسانية البارزة. **ينظر**. علي بن محمد غريسي، **الزاوية التجانية طرنجة – تونس (ماض مجيد ومستقبل واعد) (1837- 2018)**، دار الجائزة، القبة – الجزائر، 2018، ص. 35.
[18] مصدر الوثيقة: أرشيف زاوية تماسين.
[19] مصدر الوثيقة: أرشيف زاوية تماسين.
[20] الشيخ محمد الحبيب التجاني (1929- 1983)، هو أحد أحفاد مؤسس الطريقة التجانية الشيخ أحمد التجاني، وكان يقطن دولة السنغال، فهو من شيوخ الطريقة التجانية في تلك البلاد، وهو الشخص الذي أوكله الشيخ أحمد التجاني بمهمة استقبال الشاعر مفدي زكريا ومساندته خلال زيارته لإفريقيا الغربية.
[21] مصدر الوثيقة: أرشيف زاوية تماسين.
[22] الشيخ محمد الأمين ود يُعدّ أحد أعلام الطريقة التجانية في السنغال، وقد رافق الشاعر مفدي زكريا خلال جولته الإفريقية، حيث لعب دورًا مهمًا في تسهيل لقاءاته وتنقلاته داخل المنطقة.
[23] مصدر الوثيقة: أرشيف زاوية تماسين.